علم الجمال الماركسي

حنان مجيد علي الطائي
كلية التربية للبنات – قسم اللغة العربية

الملخص
إن النظرية الجمالية عند ماركس في الفن تتفق وفلسفته المادية، ولذلك برهن على أن الجمالية في الواقع هو الأساس للجمالية في الفن، ولكن هذا لا يعني أن الجمالية عند ماركس في الواقع متساو مع الجمالية في الفن من حيث أهميته، وان كان بين هذين النوعين من الجمالية علاقات معقدة. لذا، فقد كان ماركس يعتبر ان لكل نشاط مادي عملي أنساني جانبا جماليا، وهو يجعل الفن شكلا"متميزا من إشكال المعرفة الاجتماعية والجمالية هنا عبارة عن وحدة ديالكيتكية لانعكاس الحياة وتقييمها.

Marksian Aesthetics

Hanan majeed Ali
College of Edueaation for women – Arabic Language Dept.

Abstract
The Aesthetics Approach For Marx is Arts goes is live With his Material Philosophy .But that does not mean that, the aesthetic for Marx is equal with, the aesthetic in Art in its importance even if there are complicated relations between the two . There for Marx considered that for each human practiced material activity. There is an aesthetic aspect and this what makes Arts a distinguished form of social knowledge .The aesthetic here is a dialectic unit used to reflect life and value.

حياة ماركس :
ولد ماركس في بلدة تريير في ٥ ايار عام ١٨١٨ م وكان والده يعمل محاميا" ،وكان يريد لابنه أن يصبح موظفا" في الدولة .كان العمل الأول لماركس الشاب هو رسالته لنيل الدكتوراه حول ((الفرق بين الفلسفة الطبيعية عند كل من ديمقريطس وابيقور)) وفي هذه المرحلة كان ماركس هيفيليا" مثاليا" ،وكان يرى أساس وجوهر تقدم التاريخ في تطور الوعي الذاتي للإنسان .

العمل المهم الاول لماركس كان احتجاجه على الواقع السياسي القائم الذي يستعبد الفرد.ونظر الى الفلسفة على انها ((فلسفة الفعل بوصفها القوة الروحية ليس لاعاة صياغة العالم بصورة عقلانية فقط بل ايضا" من اجل اشباع التطلعات البشرية وتطور مستقبلها[١].

من هنا اكد ماركس على ان مهمه الفلسفة هي دراسة وفهم خبرة التاريخ ،وجهاد الجماهير المناضلة من اجل تحررها والكشف عن القوانين الحقيقية للتقدم الاجتماعية من هذا المنطلق الثوري انطلق ماركس الى فلسفته الجمالية .

العلاقة بين الجمالية في الفن والجمالية في الطبيعة عند ماركس:
اعتبر علم الجمال قبل ماركس إي علم الجمال المثالي الكلاسيكي عند (كنت وهيغل) إن الجمالية مقولة عقلية مجردة، أما علم الجمال المادي فقد كان هدفه رد اعتبار للطبيعة من ناحية ،ومحاربته للمثالية من ناحية ثانية.

وإذا ماعدنا إلى ماركس نرى إن نظريته الجمالية في الفن تتفق وفلسفته المادية ،ولذلك برهن على أن الجمالية في الواقع هو الأساس للجمالية في الفن ،ولكن هذا لا يعني أن الجمالية عند ماركس في الواقع متساو مع الجمالية في الفن من حيث أهميته ،وان كان بين هذين النوعين من الجمالية علاقات معقدة .

لذا فقد كان ماركس يعتبر أن لكل نشاط مادي عملي أنساني جانبا" جماليا" ،وهو يجعل الفن شكلا"متميزا"من إشكال المعرفة الاجتماعية والجمالية هنا عبارة عن وحدة ديالكيتكية لانعكاس الحياة وتقييمها .كشف ماركس من وجهه نظر مادية متماسكة عن ديالكيتك العلاقة بين الموضوعية والذاتية في الجمالية.فالموضوعية والذاتية ماديتان،والجمالي بمعناه الحقيقي يظهر كنتجة للتفاعل المادي العملي بين الموضوع والذات إي بين الطبيعة والإنسان ،وهذه النظرية نتيجة لإيمانه العميق في الفهم الصحيح لهذه العلاقة ،لان الإنسان عندما يعالج موضوعا"ما يحقق هدفا"معرفيا"جماليا"وذلك بسبب تأثير الواقع .وإذا ما نظرنا إلى الجمالي كمنفعة مادية نرى ان ماركس وجد في تصورات الناس الجمالية ارتباط مباشر بالمنفعة

المادية العملية في بداية وجود المجتمع الإنساني حيث كان الإنتاج بسيطا"،وبسبب العوامل الاجتماعية والتطور التاريخي أصبحت هذه العلاقة أكثر تعقيدا"وليس معنى هذا انها اختفت من حيث المبدأ فالجمالي مرتبط ارتباطا" وثيقا" بتطور حاجات الانسان المادية ،ولذلك فهي تتطور وتتبدل كما يحصل العلاقات الإنسان بالعالم .

وهذا يظهر من ان قوة الفن الحقيقي هو أثارة الرغبة الإنسانية في النضال العملي لتأكيد الظاهرة التي يقوم عليها موضوع الفن او ينفيها تحقيقا"لهدف ما ولمثل اعلى جمالي يؤمن به.

وكذلك يؤكد ماركس بشكل عميق الديالكتيك القائم بين الطبيعي والتاريخي بالنسبة لمسالة الجمالية خاصة وانه يتمتع بمعطيات طبيعية وبيولوجية وقد ظهرت الجمالية اثناء العملية التاريخية والاجتماعية القائمة بين الإنسان والوسط المادي.

وهنا نرى ان الجمالية انتقل من صفة كونه طبيعيا"**واكتسب طابعا**" تاريخيا" واجتماعيا". اذا النشاط الثوري الذي يهدف الى تغيير العالم واصلاحة هو اساس الجمالية وهو يشكل وحدة بين الذاتي والموضوعي[٢].

الإحساس البرجوازي عند ماركس"

قل ماركس ((أن الإنسان يؤكد ذاته بكل مشاعره في العالم المادي)) كما ان كل طبقة اوفئه اجتماعية تحقق ذاتها المتكامل في العالم المادي بطريقتها الخاصة ،وهذا يؤكد على علاقة الإنسان الجمالية بالواقع.

أكد ماركس أن البروليتاريا لديها إحساس جديدا" بالعالم يتصف بوحدة ديالتيكة بين العقل والانفصال اي بين الذاتي والموضوعي . هذا الإحساس الجديد بالعالم هو الأساس الجمالي للفن الاشتراكي وقد أشار ماركس إلى إن هذا الإحساس :((يرتفع فوق مختلف أشكال الملكية الخاصة وفوق ظروف الحياة الاجتماعية ان الطبقة كلها تبدع وصاغ كل هذا على أساس ظروفها المادية والعلاقات الاجتماعية القائمة فيها)) ومعنى هذا عند ماركس ان الملكية الخاصة تشكل الأساس المادي للاحساس البرجوازي وتجبر هذا الإنسان على النظر الى الطبيعة.والمجتمع من زاوية العلاقة النفعية الخارجية فقط ،وتشكل الملكية الخاصة والمال في هذا الحال قوة افساد للفرد فتحيل الحب الى بغض ، والبغض إلى حب والفضيلة الى رذيلة والرذيلة الى فضيلة والعبد الى سيد ،والسيد الى عبد .فالمال يحدث اضطرابا" عاما" اي يقلب العالم راسا"على عقب متضمنا" بذلك الصفات الطبيعية والإنسانية وهذا مايميز علاقة البرجوازي بالواقع بما في ذلك العلاقة الجمالية ،فالشكل الجميل بالنسبة له موضوع تملك فيزيائي مباشر ونفعي الى جانب كونه موضوع ترف بعيد عن اي نفع اوهدف يؤدي الى نتيجة عملية .اذا" هذه العلاقة علاقة غير انسانية ،تنظر الى الطبيعة باحتقار فتقلل من شانها ولقد أشار ماركس ان الطمع في الغنى وشهوة التملك وتكريس الثروة للمنفعة الشخصية تخلق في الإنسان البرجوازي الروح الفظة والتفاهة والعجرفة فيصبح مهووسا"يسعى للملذات.

ومن هنا يرى ماركس إن البرجوازية جعلت من الفن فنا"عبوديا"مما ساعد على ظهور فن منقطع عن متع الحياة .اذا" البرجوازية ،وهذا الإحساس البرجوازي الجمالي بالعالم أصبح أكثر أفسادا" وإفقارا" للحياة الإنسانية بكل جوانبها ،فعملية فقد الإنسانية أصابت العبيد والسادة على حد تعبير ماركس وانجلز والطبقة البرجوازية والبروليتارية مفرغتان من إنسانيتهما على حد سواء. فالبرجوازية راضية بهذا الفراغ الذاتي وتستوعبه على أساس تأكيد لقدرتها الذاتية، وترى فيه مظهرا"لوجودها الإنساني ،إما الطبقة البروليتاريا فتشعر بذاتها مداسة ،وترى فيه عجز ها وواقعها الإنساني ،واستلابها .فالأبنية الاجتماعية او الاستلاب هي في الواقع تنعكس على من تيجها وتسلبهم وجودهم[٣].

ولكن على الرغم من كل ذلك نجد ان للبرجوازية دورا" ثوريا" هاما" جدا" في التاريخ ،فحطمت العلاقات الإقطاعية من جهة فكانت ايجابية ومن جهه اخرى كانت سلبية، فلم تبق بين الناس الا رابطة المصلحة فحولت كرامة الإنسان إلى قيمة تبادل ووضعت مكان الحريات التي يتمنى الانسان ان يصل اليها حرية المتاجرة اي استبدلت الاستغلال المستورد بالأوهام الدينية والسياسية ،وباستغلال مكشوف مباشرة .ويقول ماركس :((ان كل ماهو طبقي وجامد يضمحل ،وكل ماهو مقدس يلوث ويضطر الناس في النهاية إلى النظر بعين واعية متبصرة الى وضعهم الحياتي ،والى علاقاتهم المتبادلة[٤].

اذاً بالعودة تاريخيا" تظهر لنا خسارة البرجوازية لانتصاراتها ومنجزاتها وذلك بسبب العوامل الاجتماعية والتاريخية التي مالبثت ان حلت محلها اتجاهات سلبية واضحة ولكن يتضح لنا ان البرولتياريا قادرة على إحراز انتصارات هامة على البرجوازية ،وهي المؤهلة الوحيدة لوراثة وحماية هذا التراث الحقيقي الى جانب خلقها لقيمها الجمالية الخاصة والجديدة.

من هنا نرى استنساج ماركس وهو :ان البروليتاريا قد تفوقت في منتصف القرن التاسع عشر وعلى الأخص في المجل الجمالي.

ماركس والنزعة المادية في الفن:

نظرية ماركس في الفن تتصل بفلسفته المادية .وهي تنطلق من المبدأ القائل ان الإنسان الاجتماعي يخلق ذاته بنشاطه وعمله وهو يتطور ويتغير إثناء تطويره الطبيعة والعمل البشري لا ينتج آلات وأدوات فقط وإنما ينتج تربية وأخلاقاً.

والنشاط الفني وجه من وجوه النشاط الإنساني ،وهو ليس نشاطا"خارقا" او مثاليا" او غيبيا" ولكنه عمل رائع والأثر الفني نتيجة عمل استطاع المبدع خلاله ان يقهر مادة طبيعية بواسطة أدوات ووسائل فنية تقنية الفنان يستعين عندها بالتقنيات الموجودة في عصره كما يستخدم اطر تقسيم العمل والعلاقات الاجتماعية حينها ، ولكن لايحصر نفسه في تلك الأطر فكثيرا" مايتخطاها .والإنسان يغتني باستمرار ويتطور خلال سير التاريخ. وعملية هذا الفن المتزايد التي تعبر عن نمو الحضارة ،والتي تتمثل بتملك الطبيعة وتطويرها ، تجري في حروب أكثر فأكثر تعقيدا" وتنشأ خلال التاريخ وابتداء من نمو القوى المنتجة طاقات جديدة للإنسان او فعاليات وقدرات ومنها الفعالية الجمالية .

والفنان بوصفه كائنا" اجتماعيا"يشارك في حياة المجتمع البيولوجية وبوصفه كائنا واعيا مفكرا" يشارك في عمل الطبقة الاجتماعية طول المراحل التاريخية التي تبدأ من المرحلة البدائية او المجتمع الخالي من الطبقات الى المرحلة التي تبدأ تزول فيها الطبقات ويرتبط الفن بتركيب الإنسان البيولوجي .انه مسلح بحواس تصلة بالعالم المحسوس ،وهذه الحواس من بصر وسمع وذوق وشم ولمس تكون في البدء وسائل وتصبح بالنسبة لكائن يعمل تملكا" للأشياء او للحقيقة،وتجسيدا"او تعبيرا" عن الحقيقة او الواقعة البشرية. وحين يزداد الحس غنى ،ويصبح دعامه التعبير عن الثقافة المكتسبة في عهد معين عندئذ يولد الفن وهكذا من الأذن ومن الصوت تولد الموسيقى ،ومن اليد والعين يولد الرسم .

وهو مسلح أيضا" بقوى أخرى كالغرائز والعواطف وكلها تساهم في أبداع الفن . ويجيب ماركس عن **سبب** تنوع الفنون التي كثر حولها الجدل ولم تستطيع الفلسفة المثالية الإجابة عنها رغم بساطتها: ان منشأ أشكال الفن الحواس فهناك اذن عدد من الفنون يضاهي عدد الفعاليات القادرة على تحمل غنى كبير في الدلالة ،والتصوير ،الموسيقى ،النحت (عناصر بصرية، او حاسية او سمعية).

ولكن الفن مرتبط أيضا"بالابنية الفوقية الفلسفية والايدولوجية ،ولكنه وان يكن بناء فوقيا" فهو مرتبط بالقاعدة الاقتصادية .وان الفن ينشأ في ظروف تاريخية معينة اي في مستوى معين من نمو القوى المنتجة ، وهكذا فهو بناء فوقي ولكنه يمد جذوره في العمل وفي الحياة التطبيقية وفي قدرة الإنسان على الطبيعية وفي مستوى القوى المنتجة .والنوع او الشكل الفني يزول بزوال البنية التي بنى عليها . وفي الواقع تزول فقط القدرة على الإنتاج في اتجاه معين ويبقى الأثر **محافظا**"على حياته وروعته عبر التاريخ .

يقول ماركس ان مفهوم الطبيعة والعلاقات الاجتماعية التي هي أساس التصوير الإغريقي وبالتالي في أساس الفن الإغريقي .والأدب الملتزم او المغرض يدعو إلى هدف معين .

هكذا كان شعر سخيلوس ٤٥٦ ق .م وارسطو فانوس (٣٨٦ ق .م) اليونانيين،وشعر دانتي (١٣٢١م) الروماني ، وشيلر الألماني ،ولكن الغرض او الهدف يجب ان ينبع من الموقف ومن الحركة دون أن تكون ثمه حاجة إلى التنويه به **بشكل سافر**[٥].

أن الفن يرتبط بإشكال التطور الاجتماعي عبر العصور . هذا هو المبدأ الذي يلخص لنا نظرة الماركسية إلى الفن ، وبه يفسر تطور تصورات الإنسان الجمالية ان التصورات الجمالية لدى مختلف الشعوب في مختلف البلدان والعصور غالبا" ماتكون متعارضة او متباينة فما يبدو جميلا" رائعا" في عصر ما قد يعتبر قبيحا" في عصراً أخر ،أن السبب هو أن التصورات الجمالية في الأزمان الغابرة كانت مرتبطة ارتباط مباشرا" بحياة الناس ونشاطهم الإنتاجي ومعيشتهم .مثلا":أن نساء العديد من القبائل الإفريقية يرتدين أساور وحجولا" حديدية وتباهي زوجات الأثرياء بارتداء كمية كبيرة من هذه الحلي والسبب هو أن هذه القبائل تعتبر الحديد معدنا" ثمينا"والأشياء الثمينة تبدو جميلة لارتباطها ذهنيا"**بفكرة الثروة**[٦].

ويمكن تلمس هذه الصفة في فن الموسيقى لدى الشعوب المختلفة.أن الإحساس بالإيقاع متطور لدى القبائل الإفريقية تطورا"مدهشا". فالمجدوف يغني طبقا"لحركة مجدافه . والجمال يغنى طبقا"لمشيئة ،وربه البيت تغنى وهي تطحن القمح فكل نوع من أنواع الإنتاج يقترن بأغنيته الخاصة وبنغمة المكيف كل التكييف لإيقاع مجرى العمل .

ومع تطور القوى المنتجة تضاءلت أهمية النشاط الإيقاعي في العملية الإنتاجية ولكنه حتى لدى الشعوب المتمدنة يتمثل كل عمل بموسيقاه الخاصة وينطبق هذا المبدأ على فن المسرح الفرنسي في القرون الوسطى .كان فن المهازل التي تؤلف لأجل الشعب وتمثل أمامه يحتل منزلة كبيرة وكانت هذه المهازل تعبر عن رأى الشعب .وعندما تولى لويس الثالث **عشر العرش** أنطوت المهازل وصارت تعتبر وسائل التسلية الصالحة للخدم والرعاع وحلت مكانها المأساة التي تعبر عن أراء الفئة العليا في المجتمع،[٧].

وبمرور الزمن انحطت الطبقة الارستقراطية وبرزت البرجوازية فترك هذا التطور أثرة في المسرح وبدت المفاهيم الأدبية القديمة غير مرضية لأبناء هذه الفئة الثالثة التي استجمعت قواها . وبدا المسرح عديم الجدوى ،وحينيئذ ظهرت الدراما البرجوازية إلى جانب التراجيديا الكلاسيكية.

وهكذا نرى ان التغيرات التي (تطرأ على حياة المجتمع توثر تأثيرا"مباشرا"على الفن تعرضت النزعة المادية في **الفن إلى النقد ولعل أعنف** هجوم شن عليها اتى من هربرت ماركوز الذي حاول أن يثبت ان العمل الفني لايفسر بالعلاقات الإنتاجية كما تدعي النظرية الماركسية بل بالبعد الجمالي .

وهو يرجع الأطروحات الجمالية الماركسية **إلى** مايلي:

١ - هناك رابطة محددة بين الفن والشروط المادية او بين الفن ومجمل علاقات الإنتاج وهو يتغير بتغيير علاقات الإنتاج.

٢ - توجد رابطة محددة بين الفن والطبقة الاجتماعية والفن الأصيل هو فن الطبقة الصاعدة او البروليتاريا ويجب أن يعبر عن وعيها وحاجاتها كما يجب ان يكون سياسيا ثوريا . أما فن الطبقة الافلة فهو فن منحط.
٣ - ينبغي اعتبار الواقعية الشكل الفني الصحيح يرى ماركو زان الجمالية الماركسية تنقص من الذاتية وتتصور القاعدة المادية بمثابة الواقع الحقيقي الأوحد .هذا الانتقاص لايتناول الذات العقلية فقط بل يتناول أيضا"الذات الداخلية والانفعالات والمخيل الذي يذوب في الوعي أن هذا الانتقاص يودي إلى إهمال احد الشروط المسبقة للثورة :(وجوب أن تكون جذور الحاجة إلى تغير جذري كامنة في ذاتية الأفراد أنفسهم ،في عقلهم وأهوائهم في دوافعهم الغريزية وأهدافهم لقد سقطت النظرية الماركسية في عين التشيئو الذي أماطت اللثام عنه وكافحته في المجتمع للشامل)[٨].

آن الجمالية الماركسية تعتبر الذاتية مفهوما" بورجوازيا" ،وهذا أمر لا يوافقها علية ماركوز لان الذاتية ليست بالضرورة مفهوما" بورجوازيا ان الأديب عندما يؤكد ذاته ينسحب من شكبة علاقات التبادل والقيم التبادلية وينسحب أيضا"من واقع المجتمع البورجوازي وقد يتمخض هذا الانسحاب عن الطعن في القيم البرجوازية السائدة .

آن التهوين من قدر الذاتية أدى بالماركسية إلى المناداة بالواقعية واعتبارها نموذج الفن التقدمي وهذا مايفسر لنا حملتها على الرومانسية ونعتها بالرجعية والفن المنحط ، أن الفن بنظر ماركوز يضع الواقع القائم موضع اتهام ويستحضر صورة جميلة للتحرر انه يتجاوز الواقع المباشر ويحطم العلاقات الاجتماعية القائمة ويطعن في صحة المعايير والقيم السائدة وهو بهذا يثبت الذاتية المتمردة،[٩]ان عالم الفن عالم واقع مختلف عن الواقع الراهن او مغاير له وبذلك يؤدي وظيفة معرفية .(ان المراوحة بين الايدولوجيا والحقيقة هي بنية الفن بالذات)،[١٠] ويرفض ماركوز أخيرا، الأطروحة الماركسية القائلة ان الفن الأصيل هو الفن الذي يمثل مصالح البروليتاريا او رؤيتها للعالم . ويقول أننا اذا اخذنا بهذه الأطروحة ،نستطيع ان نفسر جمال المأساة الإغريقية والملحمة الوسيطة رغم انتمائهما إلى العبودية القديمة والى الإقطاعية ان شمولية الفن لايمكن ان تكون حكرا"على طبقة خاصة وتصورها للعالم لان الفن يتوجه نحو الإنسانية غير المحتواة في اية طبقة ان المحبة والبغض والحزن والفرح واليأس والأمل لايمكن تذويبها في صراع الطبقات ثم ان الطابع التقدمي للفن وماهيته في كفاح التحرر لا يمكن قياسها بالأصل الاجتماعي للفنانيين ولا بالافق الايدولوجي للطبقة التي اليها ينتمون كما لايمكن الحكم على الفن بالاستناد الى حضور الطبقة المضطهدة اوغيابها في اعمالهم،[١١].

وينتهي ماركوز إلى القول إننا آذا أرجعنا إلى الشكل الجمالي خصائص الفن اللامثالية المستقلة بذاتها ،جعلنا وضعها خارج نطاق الأدب الملتزم ،خارج مضمار الممارسة والإنتاج ، فالفن له بصمته الخاصة وهولا ينير الواقع الا بهذه اللغة المغايرة وله فضلا"عن ذلك مشورة الخاص للإثبات والنفي ،ومن المتعذر ربطه بصيرورة الإنتاج الاجتماعية،[١٢].

الإحساس الاشتراكي:

كما رأينا ان الأساس المادي الذي يقوم علية الإحساس البرجوازي بالعالم هو الملكية الخاصة،[١٣] والنفعية والأنانية ،اما الإحساس الاشتراكي المتكامل فيقوم على رفضها ،ولذا هو يعني تحرر كل المشاعر الإنسانية تحررا"كاملا" من أهم خصائص الإحساس الاشتراكي بالعالم انه لا يستطيع الارتباط بالنفعية وبالملكية الخاصة من ناحية ومن ناحية أخرى لايمكن ان يتصف بعدم النفعية كليا"، فهي اذا" علاقة الشيء من اجل الشيء ،لكن هذا الشيء نفسه هو علاقة إنسانية موضوعية بذاته وبالإنسان ، لذلك أصبحت المنفعة منفعة إنسانية .اما الإحساس الاشتراكي فقد أعطى فكرة صادقة عن الشيء وكشف عن حقيقته الموضوعية ان ما يميز الإحساس الاشتراكي بالعالم هو فهمه الخاص للمشاعر والأهواء المرتبطة فينشأ عن الإنسان إحساس بمشاعر الآخرين وملذاتهم، وتصبح بالنسبة له ملكا" خاصا به"ويصبح نشاطه في اتصاله المباشر مع الآخرين وسيلة يظهر بها نمطه الحياتي والانسان الاشتراكي يحتاج الى انسان اخر فهو بعيد عن الإنسانية ولا يمكنه ان يكتفي بذاته .لذلك تقوم البروليتاريا بالنضال ضد هذه الظروف من اجل تغييرها جذريا"،وفي الوقت نفسه تعيد بناء ذاتها ،ويقول ماركس: (أن التطابق في تغير الظروف يمكن أن يفهم عقليا"فقط بوصفه عملا"ثوريا"،[١٤].

فالعلاقة الجمالية الحقيقية بالواقع هي علاقة داخلية عضوية مع الموضوع وبعيدة عن الانسجام المجرد التأملي ،هذا الإحساس الاشتراكي بالعالم هو الحصيلة الروحية الأسمى للإنتاج الاجتماعي اذا هي الوحدة العضوية الداخلية بالموضوع.

هناك طريق مزدوج لنتجاوز الإحساس البرجوازي وهوعن

أ-طريق عملي وهو تصفية الملكية الخاصة وهذا يحصل نتيجة الثورة الاشتراكية.

ب-استيعاب الاحساس الاشتراكي بالعالم لاناس مازالوا في المجتمع البرجوازي وان تخلصوا من الملكية الخاصة وعرفوا الواقع معرفة صحيحة اذا"الاحساس البروليتاري بالعالم يتكون برأي ماركس وانجلز قبل قيام الثورة الاشتراكية وهو يناقض المجتمع البرجوازي فتشتد الانتماءات الاشتراكية بتطور المجتمع وتزداد وحدة الصراع الطبقي فيه .من هنا نلاحظ وجود فرق بين اراء البرجوازي والبروليتاري ،فالبرجوازي يحب المال ،اما البروليتار بعيد عنه لانه يدرك الواقع ويؤمن بالعامل المادي كعنصر فعال للجماعة ،وليس للمنفعة الشخصية وكما للمال دورا" فان التعصب الديني يسيطر على البرجوازي ،اما العامل فتدينه غير حقيقي .وهو في الواقع يتعب من اجل حياة افضل له ولمجتمعة .والحقيقة ان ماركس استخدم طبقة لشرح لشكل العمل الجماعي،[١٥].

ذواوضح بنظرية المادية الى التاريخ ان كل تصورات الناس الحقوقية والفلسفية والسياسية والدينية متعلقة بظروف الحياة الاقتصادية ،بطريقة الانتاج وتبادلات السلع ،ولذلك ليس هناك ما يشغل تفكيرهم بانعدام الملكية الخاصة .ويتابع ماركس طريق الانتقال الى الاحساس الاشتراكي حيث يشتد الصراع الطبقي ،ويشارف على النهاية عندما تصبح الطبقة المسيطرة مفككه داخليا"،فيلجا"قسم من الطبقة المسيطرة الى طبقة الثورة.

والتاريخ يعطينا امثلة حيه ،فالبعض من اهل البلاط انضم الى صفوف البرجوازية واليوم كما يقول ماركس **قسما**"من البرجوازية ينتقل الى مواقع البروليتاريا.

ولكن ادراك الاحساس الاشتراكي وفهمه لايشمل كل بروليتاري ذلك ان الاحساس الاشتراكي بالعالم عملية طويلة ومعقدة ومتناقضة فهو ينمو عند الناس نتيجة لنشاطهم الحياتي المتنوع والهادف وادراكهم لايدولوجية هذا الاحساس فهو احساس غني بروح وتاريخ البشرية المناضلة ونخلص الى القول الى ان الجمالية تشكل جزءا"عضويا"من علاقة الانسان المتكاملة بالمجتمع ومن هنا نرى ان الفن الماركسي ينطلق من فلسفته المادية فالنشاط الفني الانساني ماهو الا صورة من صور النشاطات الانسانية ،وهي تعبير مادي عن نتاج الانسان الذي يتطور خلال المراحل التاريخية وسيرها .اذ ماركس وانجلز اوضحا الاسس العامة للمعرفة التي تقوم عليها الجمالية كما قد ما تفسرا"نوعيا"مهما"جديدا" للمقولات الجمالية والفنية وكشفا عن القوانين الموضوعية للعلاقات بين هذه المقولات واطرها السياسية والفلسفية والاخلاقية.

اخيرا" نوجز أراء ماركس الجمالية بمايلي :

١-ربط ماركس تطور الفن كنشاط من النشاطات الإنتاجية الإنسانية باشكال التطور الاقتصادي والاجتماعي (اهم شكل تظهر فيه الجمالية بالنسبة لانجلز ،هو لغة الكتاب واسلوبه فهي الناحية الجمالية المؤهلة برأيه لان تمارس تأثيرا جوهريا"طويل الامد في القارىء)

٢-اوضح ماركس في مؤلفه المخطوطات عام ١٨٤٤ الاقتصادية الفلسفية وغيرها من المؤلفات أن تصور الجمالي ليس فطريا"في الانسان ،بل يتكون عنده خلال الممارسة العملية المادية الطويلة وهو مرتبط ارتباطا"عضويا" بالنشاط الإنساني الواعي والهادف ،حيث يشارك في النتاج الفني طوال المرحلة التاريخية ،فإذا وعي الفنان كما يقول انجلز لاينفصل عن الموهبة الجمالية ، فهما يتبادلان التاثير بشكل ديالكتيكي ، فنلاحظ هذه العلاقة بين الناحية الجمالية والتاريخية ، ويعطينا مثالا" لذلك ادب غوته (ينتقده) الذي يعتبره قيمة موضوعية خالدة بالنسبة للبروليتارية التي تعتبر الحافظ للتراث ،ومكملة مشوار الفن العالمي اذا" الجمال على حد تعبير ماركس يعتمد على الانسان في نشاطة الجمالي المتنوع حيث تكونت تصوراته الجمالية تاريخيا.

٣ – يرى ماركس ان للجمال جذورا" في العالم المادي هذا الجمال هو واقع موضوعي وخاصة ذاتية وينشأ مفهوم الجمال حين يتم التفاعل بين الموضوعية والذات . ويعتبر ماركس نشاط الانسان العملي ينتج حسب مقاييس ،اي يستطيع ان يعطي الشي المقياس المناسب له لهذا فهو ينتج حسب قوانيين الجمال .لقد اثبت ماركس ان التطابق الديالكيتكي بين الغاية الداخلية الموجودة في جوهر الشي وبين تحقيق الانسان لهدفه الواعي خلال عملية الانتاج المادي انما يتم بشكل واضح ولذا فان التطابق يتم بين هذة الموضوعية والذاتية.

وعلى الرغم من ذلك ينتقد ماركس عندما يعتبر الفن البرجوازي هو فن ذاتي انائي سطحي وتافة ،بعكس الفن البروليتاري فهو حقيقي لانه يعبر عن حاجات ووعي الشعوب وتطلعاتها السياسية والثورية .

فالجمل اذا " هو موهبة الفنان الذاتية كإمكانيته لخلق فني ،ونتيجة موضوعية مادية لهذا التفاعل مع الموضوع.

٤ – الجمال موجود في كل المجتمعات الرأسمالية والبرجوازية ،ولكن هذا الجمال يجعله المستغلون غريبا "عن مبدعية، ومفهوما" غير اجتماعي بعيد عن النظرة الماركسية التي ترى الإنسان كائن بيولوجي واعي مفكر يطور غرائزه الحيوانية ويعتمد على علاقاته الاجتماعية.

لهذا يجب ان نجعل الشعور الجمالي اجتماعيا"وعلينا قبل كل شي ان نغير الواقع تغييرا حاسما" ونجعله إنسانيا" حقا"،فالعامل عندما يقوم بعمل اجباري يصبح عبدا" للشي ،وهو هنا يسلب من إنسانيته ويفقدها بسبب الفن الذي خلقه ،وهذا نراه في المجتمع الراسمالي والبرجوازي حيث يشعر العامل بغربة عن عملة الفني الجميل وبعدم أرضاء لحاجاته الجمالية ،لان العمل لا يعبر عن تطلعاته الثورية ومختلف عنه كليا".

٥- يرى ماركس وانجلز ان الحرية أساس الجمال الحقيقي ،فالحرية الشرط الأساسي والاهم في الجمال وهي مصدره وجوهره جميل كل ماهو حر وقبيح كل ماليس حرا"،فالحرية هي حالة الإنسان الطبيعية، وهي في الوقت ذاته نتجة نضال طويل وعملية اجتماعية معقدة ، لذلك العلاقة الخلاقة بالعالم التي تقدمها البروليتارية هي علاقة أكثر حرية وتطلعا" لمستقبل الإنسان وهنا لابد لنا من الإشارة إلى أن اللذة الجمالية الناجمة عن فن ثوري نضالي ،لاتتناقض واللذة الجمالية الصادرة عن وحدة الإنسان الروحية مع العالم ،لان هدف العمل الثوري الوصول للانسجام الكامل بين الانسان والطبيعة،ولان وحدة الانسان الحقيقية مع الواقع تتم عن طريق التغيير الثوري للحياة.

٦- ان مفهوم ماركس وانجلز الفلسفي العام هو كل مايحدث لذة جمالية انما هو حر حق ثوري ،متطور عضويا"،لايحمل صفات الحيوانية ومنسجم مع مجتمعة ،ويعتبر قبيحا" يشير الاشمئزاز جماليا" كل ماهو مذل وظالم وقاسي ولاثوري ،**اذا تتلخص نظرة ماركس** وانجلز الى الميزة التاريخية الى الطبيعة والمجتمع والفن،اثناء نضالها ضد المثالية التي **اعتبرت تمجد الأوضاع** القائمة ،فكان الحل عند ماركس وانجلز لموضوع الجمالية هو الكشف عن الأسس الحياتية،

المادية والعملية التي نشأت عنها الجمالية، والي تفسير هذا الجمالي من وجهه نظر ثورية ،متكاملة وتاريخية وشخصية.

اذا" انشأ ماركس وانجلز نظامها الفلسفي الجمالي حيث كان الفن يخطو خطواته الاولى لكنهما اكتشفا بما عرف عنهما من عبقرية، قوانين موضوعية راسخة وخصائص مبدئية للفن الاشتراكي وطرحا موضوعات فلسفية جمالية لاتزال حتى الان تحتفظ بقيمتها الحياتية العملية من هنا ننهي الى القول ان الفلسفة الماركسية هي فلسفة انسانية تهدف الى وضع حد لعبودية الانسان وتحريره للوصول به الى مجتمع حر حقيقي، اخيراً اختصر ستالين كل ذلك فكتب يقول،[١٦] ((الماركسية هي العلم الذي يقوم بدراسة قوانين تطور الطبيعة والمجتمع وهي العلم الذي يدرس ثورة الطبقات المضطهدة المستغلة ،كما انها العلم الذي يصف لنا انتصار الاشتراكية في جميع البلدان واخيرا" هي العلم الذي يعلمنا بناء المجتمع كما انها بداية مرحلة جديدة تصبح فيها الفلسفة سلاحا" علميا" في ايدي الطبقات الكادحة التي تناضل من اجل تحريرها)).

الهوامـــش

(١) اصول الفلسفة الماركسية ،ج١،جورج بولتيرز ،المكتبة العصرية ،بيروت ،ص٢٧ .
(٢) عالم الجمال الماركسي، ترجمة يوسف حلاق، مراجعة اسماء صالح، دمشق،١٩٦٨ ص١٣١
(3) فلسفة النظريات الجمالية، غادة المقدم عذره، لبنان،١٩٩٦، ص ١١٢
(4) علم الجمل الماركسي، مصدرسابق، ص ١٣٥
(٥) ماركس وانجلز، مراسلات ماركس وانجلز، ترجمة جورج طرابيشي، بيروت، دار الطليعة، ١٩٧٣، ص(١٩٨-١٩٩)
(6) يوغو سلافسكي،النظرية الماركسية اللينينية في المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية، موسكو، دار القدم، ١٩٧٥،ص٤٥٤
(7) المصدر نفسه،ص (٤٥٥-٤٥٦)
(٨) ماركوز، البعد الجمالي، ترجمة جورج طرابيشي، بيروت، دار الطليعة،١٩٧٩، ص ١٥
(٩) المصدر نفسه ، ص ١٨-١٩
(١٠) المصدر نفسه،ص ١٢
(١١) ماركوز،مصدرسابق،ص ٣١
(١٢) المصدر نفسه، ص ٣٥
(١٣) جورج بوليتزر، اصول الفلسفة الماركسية، ، بيروت، ص (٢٠-٢٢)
(١٤) يوسف حلاق،علم الجمال الماركسي، دمشق، ١٩٦٨، ص ١٣٦
(١٥) غادة المقدم عدره، فلسفة النظريات الجمالية، لبنان،١٩٩٦،ص ١١٤
(١٦) جورج بوليتزر، مصدرسابق، بيروت، المكتبة العصرية، ص (٢٠-٢٢).

قائمة المصادر

١-جورج بوليتيرز، اصول الفلسفة الماركسية ج١، المكتبة العصرية، صيد١، بيروت.
٢ –يوسف الحلاق، علم الجمال الماركسي، مراجعة اسماء صالح، دمشق، ١٩٦٨.
٣ –غادة المقدم عدره، فلسفة النظريات الجمالية ،لبنان ،١٩٩٦ .
٤ – يوسف الحلاق ،علم الجمال الماركسي.
٥ – ماركس وانجلز،مراسلات ماركس وانجلز،ترجمة جورج طرابيش ،دار الطلعية ،بيروت ،١٩٧٣ ط١ .
٦ – يوغوسلافكي ،النظرية الماركسية اللينينية في المادية الديالكيتكة والمادية التاريخية ،دار القدم ،موسكو،١٩٧٥ .